شريط أوزو : دراسة لتطور الحدود السياسية بين ليبيا وتشاد *

للاستاذ برنار لان

ترجمة السيدة نجوى مشهور

ظل القسم الشرقى من الصحراء الكبرى الافريقية والذى يقع غربى مصر والسودان ، بعيدا عن اى اختراق للقوى الاستعمارية الاوربية حتى السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر عندما استطاعت فرنسا أن تحصل على موافقة بريطانيا بمقتضى تصريح لندن الصادر فى ٥ اغسطس سنة ١٨٩٠ ــ على أن تمتد منطقة نفوذها الساحلية المطلة على البحر المتوسط (الجزائر وتونس) جنوبا حتى خط يمتد من ساى Say على النيجر الى باروا Barroua على بحيرة تشاد . والى الجنوب من هذا الخط كانت تقع سلطنة « وادى «Ouaddai» » القديمة والتى دخلت مرحلة من الاضمحلال السياسى منذ عام ١٧٩٨ فى أعقاب وفاة حاكمها السلطان يوسف وما تبع هذا من تدهور سياسى . وأما غربى منطقة النفوذ الفرنسية فكانت تمتد مملكة البورنو «Bornou» » (نيجيريا الحالية) التى استطاع مغامر سودانى يدعى رباح أن يهيمن عليها على نحو يعكس التفكك السياسى لهذه المملكة القديمة ، وأما الى الشمال فقد كانت تمتد منطقة نفوذ جماعة « التربو Les Toubou » والسنوسيين الذين كانوا يمثلون قوة سياسية ودينية لا يستهان بها . وكانت تجمع بين كل جماعات النيجر ثقافة واحدة عمادها لغة « الكانورى » باستثناء اقليم تشاد الذى لم يشع فيه استخدام هذا اللغة الا فى عهد قريب .

وقد استطاعت الامبراطورية العثمانية ــ التى كانت فى نفس الوقت تقريبا قد أصبحت قوة عالمية يعتد بها أن تهيمن على ولايات طرابلس ، وبرقة ، وفزان ، بمقتضى معاهدة برلين فى عام ١٨٨٥ ، وكانت مساحة منطقة نفوذها آنذاك اقل كثيرا من مساحة ليبيا الحالية (التى لم تعرف بهذا

---

* باذن خاص من مجلة L'Afrique et l'Asie Modernes التى نشرت هذا البحث فى خريف ١٩٨٧ (العدد ١٥٤) .

الاسم الا فى عام ١٩١٢) . اما السنوسيون فقد استقروا فى منطقتى الكفرة، وجورو لبعدهما ، ولعزلتهما عن التيارات السياسية التى كانت تجتاح هذه المنطقة من الصحراء . ومن الملاحظ هنا ان اغلب الاطالس الجغرافية السياسية فى القرن التاسع عشر كانت تشير الى ان حدود منطقة النفوذ التركية كانت تضم القسم الشمالى الشرقى من فزان ، فى حين ان القسم الجنوبى الشرقى منها كان يدخل فى نطاق نفوذ جماعات التوبو .

وفى عام ١٨٩٠ اعترضت الامبراطورية العثمانية على تصريح لندن الذى حدد امتداد الاراضى التى حصلت عليها فرنسا ، وذلك حفاظا على مصالحها ، واصرارا منها على استرداد كافة المناطق التى تمثل ظهير اقليم طرابلس والتى تمتد جنوبا حتى بحيرة تشاد وحوض نهر شارى .

وفى عام ١٨٩٩ اتفقت كل من فرنسا وبريطانيا مرة اخرى على تحديد مناطق نفوذهما كمحاولة من فرنسا لتاكيد وجودها فى القارة الافريقية ، ولحرصها على تسوية بعض الخلافات القديمة مع بريطانيا ، بخصوص مصر ووادى النيل (وذلك عقب حادثة فاشودا المعروفة) . وفى ٢١ مارس عام ١٨٩٩ تم الاتفاق بينهما على ان تمتد الحدود بين تشاد وليبيا بخط يمتد من نقطة تقاطع مدار السرطان بخط طول ١٦° شرقا ، وتتجه الى الجنوب الشرقى ليلتقى مع خط طول ٢٤° شرقا . ومثل هذه الحدود الفلكية تغلب عليها الصبغة النظرية ، الامر الذى حدا ببريطانيا الى تجاوزها عندما احتلوا مصر عام ١٨٨٢ ، والسودان فى عام ١٨٨٨ ، ودارفور فى عام ١٩١٧ ، كما ان الفرنسيين من جانبهم اقاموا اول مركز لهم فى جرنين Gringin (يعرف حاليا بكاجا باندورو Kaga Bandoro) ، كما اقاموا حصن لامى الشهير فى عام ١٩٠٠ بعد ان قضوا على « رمام » فى كوسرى Koussery . اما تركيا فقد اعترضت على استيلاء كل من بريطانيا وفرنسا على اراض كانت تعتبرها من ممتلكاتها ، وفى محاولة منها لانتهاك سياسة ايجابية لاثبات وجودها ، فقد شرعت فى عام ١٩٠٨ فى بناء حصن « باردای Bardai » ، كما اقامت مركزا آخر فى « يو Yoo » (وسنتحدث هذا التحرك التركى فى شمال تشاد مزيدا من الدراسة التى لم يتناولها الكتاب الفرنسيون الا قليلا بينما افرط الايطاليون فى تحليلها) . وقد ظل النداء محتدما بين فرنسا وتركيا طوال العقد الاول من القرن الحالى الى ان اندلعت الحرب الايطالية التركية فى ٢٩ سبتمبر عام ١٩١١ ، واضطر الاتراك بعد هزيمتهم الى توقيع معاهدة اوشى Ouchy فى ١٨ اكتوبر عام ١٩١٢ ، واخلوا آخر ممتلكاتهم الافريقية ، وقد انتهزت فرنسا هذه الفرصة فاستولت على كافة المناطق

التى حددتها اتفاقيـــة ١٨٩٩ التـــى وقعتها مع بريطانيا ، فى الوقت الذى اشتدت فيه مقاومة السنوسيين للقوى الاجنبيه الدخيلة ، واضطـــروا فى نهاية المطاف الى التقهقر الى واحة كفـــرة .

واثناء هذه التطورات اجتمعت لجنة فرنســية ــ ايطاليـــة فى برن (بسويسرا) فى ٣٠ يوليو سنة ١٩١٤ للاتفاق على تحديد الحدود الجنوبية لليبيا ، غير ان اندلاع الحرب العالمية الاولى اوقف عمل هذه اللجنة قبـــل تنجز شيئا .

وبعد ان وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها ، طالبت ايطاليا ــ فى الوقت الذى كانت تقتســم فيه بريطانيا وفرنسا وبلجيكا مســـتعمرات المانيا السابقة فى القارة الافريقية ــ باسترداد بعض الاراضى الواقعـــة فى جنوب الجزائر وشمال النيجر (تبلغ مساحتها ٢٣٣ر٠٠٠ كم٢) وتـــم اقرار هـــذا بمقتضى الاتفاقيـــة المعروفة باتفاقيـــة بيشـــون بونان Pichon-Bonin والموقعة فى ١٢ سبتمبر سنة ١٩١٩ ، غير ان الاتفـــاق الاضافى الذى وقع بين فرنســـا وبريطانيا فى نفس العام قد اثار قلـــق بريطانيا ــ خاصة وانه عاد الى التاكيد على شرح بنود اتفاقية سنة ١٨٩٩ ــ التى سبقت الاشارة اليها ، والتى نصت على ان تمتد الحدود الجنوبيـــة لليبيا مع مدار السرطان الى نقطة تقاطع خط طول ٢٤° شرقا مع خط عرض ١٩/٣٠° شمـــالا ، وقد اسفر هذا عن خسارة ايطاليا لمنطقـــة صحراوية قدرت مساحتها بنحـــو ١٧٥ر٠٠٠ كم٢ .

وقد كانت هذه الاراضى الجنوبية من ليبيا ــ فى واقع الامر ــ خارج نطاق الهيمنة الايطالية فى سنة ١٩١٩ ، غير انهم بعد عشر سنوات اعادوا احتلال اقليم فزان ودخلوا واحة كفرة فى سنة ١٩٣١ ، وطالبت ايطاليـــا رسميا بان تدخل فى حدود ليبيا الجنوبية كافة الاراضى الواقعة شـــمالى خط عرض ١٨° ، غير ان فرنسا رفضت هذا المطلب ، واعادت احتـــلال اقليم تبستى فى نهاية سنة ١٩٢٩ .

وفى السنوات الاولى من العقد الرابع من القرن الحالى هـــدأت العلاقات المتوترة بين فرنسا وايطاليا ، ووقعت بينهما مجمـــوعة مـــن الاتفاقيات . التى اوضحت الحدود بين مناطق نفوذ كل منهما فى شـــمالى افريقيا ، لعل من اهمها « معاهدة روما » التى تم بمقتضاها التنازل عـــن شريط من الارض تبلغ مساحته ١١٤٠٠٠ كم٢ لايطاليا لتضم الى الاراضى الجنوبية من ليبيا ، وكان يدخل فيها موقع عسكرى صغير فى اوزو Aozou

ومن هنا أطلق على هذه المنطقة اسم شريط أوزو «Bande d'Aozou» وان كان هذا الاسم لم يشع الا فى سنة ١٩٧٨ . وقد كانت ايطاليا فى ذلك الوقت تأمل كذلك فى أن توقع اتفاقية مماثلة حول الحدود الجنوبية لتونس ، غير أن غزو ايطاليا لاثيوبيا ، وادانتها من قبل عصبة الامم قد حال دون توقيعها ، واكتفى بجعل شريط أوزو (الذى سبقت الاشارة اليه ومساحته ٠٠٠ر١١٤كم٢) منطقة منزوعة السلاح على الحدود بين ليبيا وتشاد التى ضمتها فرنسا فى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٤٠ .

وفى العاشر من فبراير سنة ١٩٤٧ وقعت معاهدة باريس التى وضعت نهاية للحرب بين ايطاليا والحلفاء . وقد ورد فى البند (٢٣) من هذه المعاهدة أن تتنازل ايطاليا عن كل ممتلكاتها الافريقية ، ومن بينها ليبيا ، كما نص البند (٤٤) على الغاء معاهدة روما (سنة ١٩٣٥) .

وفى نهاية المطاف وبعد محاولات لتطبيق صيغ عديدة ، نالت ليبيا استقلاله فى ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ « كمملكة متحدة » تضم طرابلس وبرقة وفزان وفق القرار رقم ٢٨٩ (١٧) الذى أصدرته الجمعية العامة للامم المتحدة فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٤٩ على أن تظل تحت الوصاية البريطانية والتى سمحت بوجود قواعد عسكرية أمريكية (قاعدة هويلس Wheelus) . وقد طالب القرار ايضا باتخاذ الاجراءات اللازمة لتحديد الحدود السياسية « للمملكة المتحدة الليبية » والتى لم تكن قد حددت من قبل بأية اتفاقيات دولية .

وفى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٥٠ وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة على القرار ٣٩٢ (٧) الذى أشار الى انه طالما لا توجد أية اتفاقات دولية لتحديد الحدود السياسية لليبيا ، فالطريق الوحيد هو أن يتم ذلك عن طريق المفاوضات بين الحكومة الليبية والحكومة الفرنسية .

وقد أصرت فرنسا فى المحادثات التى دارت بين الجانبين على التمسك بخط الحدود الذى رسم فى عام ١٨٩٩ فى حين حاولت ليبيا ــ التى كانت تحت السيطرة الانجليزية الامريكية فى عهد الملك ادريس السنوسى ــ التمسك بمعاهدة روما سنة ١٩٣٥ .

وفى العاشر من اغسطس سنة ١٩٥٥ وقعت فى طرابلس معاهدة للصداقة وحسن الجوار بين فرنسا وليبيا ، والتى جاء فى البند الثالث منها « ... اقرار الاطراف المتعاقدة بأن الحدود بين تشاد وليبيا

قد نتجت عن الاتفاقيات الدولية التى نفذت منذ تاريخ انشاء المملكة الليبية المتحدة ... » .

وفى الحادى عشر من اغسطس سنة ١٩٦٠ حصلت تشاد على استقلالها فى اطار الجماعة الفرنسية ، واقامت علاقات دبلوماسية مع ليبيا ، وبعد ان تولى العقيد معمر القذافى الحكم فى الفاتح من سبتمبر سنة ١٩٦٩ ، وفى اعقاب الثورة التى قامت بها جبهة التحرير الوطنية لتشاد (Frolinat) اضطر الجيش التشادى الى اخلاء اوزو خلال النصف الاول من عام ١٩٧٣ ، ودخلتها القوات الليبية ، واعتبرت ليبيا شريط اوزو جزءا من اراضيها الجنوبية . وهنالك من يقول بأن هذا الضم لم يتم بمقتضى اتفاق رسمى بين الحكومات ، وان كان البعض قد تحدث عن اتفاقية سرية تنازل فيها تومبلباى Combalbaye عن شريط اوزو لليبيا مقابل منحها ٢٣ مليار فرانك تشادى ، وان كانت هذه المقولة ما زالت تفتقر الى الادلة .

وفى شهر سبتمبر سنة ١٩٧٦ جاهرت ليبيا بمطالبها ، ونشرت مجموعة من الخرائط الجديدة تضم بالاضافة الى حدود معاهدة روما (سنة ١٩٣٥) مناطق اخرى تتبع حاليا كلا من النيجر والجزائر .

وفى عام ١٩٧٨ استطاع الليبيون فى مساندتهم لجبهة التحرير الوطنية التشادية ان يحتلوا اغلب انحاء القسم الشمالى من تشاد ، وفى نوفمبر سنة ١٩٨١ طالبت حكومة الوحدة الوطنية الانتقالية فى تشاد — والتى كان يراسها جوكونى اودى — أن تخلى القوات الليبية مواقعها فى شمالى تشاد ، غير انها ظلت محتفظة بشريط اوزو . وعندما تولى حسين حبرى قيادة تشاد فى سنة ١٩٨٢ احتدم الصراع بينه وبين جوكونى اودى الذى كان يلقى تأييدا من ليبيا ، وبدأت المفاوضات بين الطرفين من أجل التنازل الرسمى عن شريط اوزو ، وعادت مشكلة هذا الشريط الحدودى لتفرض نفسها على العلاقة بين القطرين المتجاورين ، اذ تصر ليبيا على عدم التنازل عن هذا الشريط الذى اقامت فيه قاعدة جوية كبيرة ، فى الوقت الذى يعمل فيه حسين حبرى على استعادة منطقة حدودية اطلق عليها اسم الالزاس واللورين الافريقية .

أما منظمة الوحدة الافريقية التى تدخلت من أجل ايجاد حل لهذا النزاع فيتلخص موقفها الذى أعربت عنه فى مؤتمر قمة القاهرة لاعضائها فى ٢١ يوليو سنة ١٩٦٤ بأن تتعهد جميع الدول الافريقية الاعضاء

باحترام الحدود السياسية التى كانت قائمة وقت الحصول على الاستقلال، أما موقف فرنسا فهو مؤيد لوجهة النظر التشادية .

ويختتم كاتب البحث دراسته بأن الحل الامثل لهذا النزاع ربما يتمثل فى عرضه على محكمة العدل الدولية بلاهاى وهذا بطبيعة الحال يتطلب موافقة الطرفين ، ومن أجل هذا تستطيع الدول العربية الاعضاء فى منظمة الوحدة الافريقية ، وفى اطار العلاقات العربية الافريقية المتنامية أن تلعب دورا اساسيا من أجل الوصول الى حل سلمى دائم لهذا النزاع .

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUTE OF ARAB RESEARCH AND STUDIES
عضو اتحاد الجامعات العربية